مقومات تحقيق الاستقرار المجتمعي الجزائري في زمن العولمة "الأمن الثقافي أنموذجا"

Elements of achieving Algerian societal stability in the era of globalization "Cultural security as a model"

فتيحة جلاب *DJELLAB fatiha*

جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، الجزائر، f.djellab@univ-dbkm.dz

تاريخ الإرسال: 2023/01/05 **تاريخ القبول:** 2023/02/24 **تاريخ النشر:** 2023/02/01.

ملخص:

أضحى موضوع الأمن الثقافي يكتسي أهمية بالغة في القرن الواحد والعشرين نظرا للتداعيات السلبية التي خلّفتها العولمة خاصة على دول العالم الثالث، أين عمدت العولمة في ظل التطور التكنولوجي الهائل على اختراق سيادة تلك الدول فلم يعد باستطاعة هذه الأخيرة الحفاظ على مقومات هويتها وإنتاجها الثقافي، لذا تحمل الضرورة اليوم أمام منهج العولمة الذي يكرس للهيمنة أن نحيّن مخطط لتحقيق الأمن الثقافي نتحدى من خلاله واقع الاستعمار المعاصر، وفق استراتيجية نوضح من خلالها الآليات الفعلية لتحقيق الاستقرار المجتمعي في الجزائر كرهان أساسي لمستقبل واعد، يكون فيه الأمن الثقافي سلاح قوي لحماية ثقافة المجتمع وهويته من جهة وضمان الاستقرار السياسي من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: *الاستقرار المجتمعي؛ الأمن الثقافي؛ العولمة.*

Abstract:

The subject of cultural security has become of great importance in the twenty- first century because of the globalization and it negative implications especially on the third world countries where the globalization infected sovereignty of these countries using the massive technological development. This countries become unable to maintain it constituents of identity and it cultural production. So, to day we have to complete a scheme to achieve the cultural security and protect it from the danger of globalization and it hegemony and we must to use this scheme as tool to challenge the contemporary colonialism as a strategy with actual mechanism be it the cultural security a strong weapon to protect from side the culture and the political stability on the other side.

Keywords: *cultural security; globalization; social stability.*

* **المؤلف المرسل: د. فتيحة جلاب**، F. djellab@univ-dbkm.dz.

مقدمة:

اعتمدت الاستراتيجية الاستعمارية المعاصرة التي تمارسها العولمة على اختراق الكيان الثقافي للدول الضعيفة مما شكّل خطورة على الأمن الثقافي لتلك الدول وعمل على طمس معالم الهوية الثقافية والوطنية لشعوب العالم الثالث، وهذا ما أفرز واقعا ارتفع فيه سُلّم القيم السلبية التي غرستها العولمة في فكر الشباب الجزائري، كما تتعرض كثير من مؤسسات المجتمع لكثير من الضغوطات التي تستهدف التأثير على أمن الجزائر من خلال المساس بهويتها وأمنها، وذلك بالتأثير على معتقدات الأفراد وزرع الفتن، وذلك بتكريس مجموعة من التقنيات الحديثة والمتطورة واستغلال البث الإعلامي لصالح القوى العظمى من أجل كسر شوكة انتماء الفرد إلى وطنه.

وعليه تحاول العولمة من هذا الباب غزو المجتمعات الفقيرة والضعيفة وجعلها تابعة إليها مع إلغاء الهوية والثقافات الوطنية والدينية والقومية والخصوصية الإنسانية بشكل مقنع في شكل اتفاقيات اقتصادية لكن معبئة بالرؤية الثقافية التي ترافق أدواتها ومخترعاتها وعاداتها الغربية وأنماط استهلاكها الذي تزرعه فينا.

كما أن استيراد مناهج التعليم هو أكبر خطر يهدد الأمن الثقافي لأنه خلق ثغرة استغلتها العولمة لصالح رغبات أصحابها، ومنه أصبحت مؤسساتنا التعليمية تنتسب للآخر ثقافيا وحضاريا، لتقضي بذلك على اللغة العربية والدين الإسلامي والنخب لتجذبهم لثقافتها ومن ثم إليها وتمكن للآخر من الامتداد داخل المجتمع والأمة.

بالإضافة إلى ذلك أصبح الإعلام في العالم الإسلامي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة يعتبر الأساس الذي استندت عليه العولمة في التسويق الاستهلاكي والإعلاني لثقافتها، وفي ظل هذه الأزمة الأمنية التي خلّفتها العولمة الثقافية لم يعد ينفع الانغلاق بحجة الحفاظ على الذات والهوية بل لابد من وضع مشكلة العولمة وتهديدها للأمن الثقافي في إطارها الصحيح بأن نقوم بتفعيل الآليات الموجودة في أيدينا تفعيلا استراتيجيا نستطيع من خلاله الحفاظ على الهوية الثقافية في الجزائر وتحقيق الوحدة الوطنية مع ضمان الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وفي هذه النقطة يستوقفنا طرح الإشكالية التالية: **كيف يمكن تحقيق الأمن الثقافي في الجزائر أمام تداعيات العولمة؟ وما هي الآليات الاستراتيجية التي يمكن اتخاذها أو تفعيلها لتحقيق الأمن الثقافي في الجزائر؟**

1. تعريف العولمة:

أ. التعريف اللغوي للعولمة:

يعد مصطلح العولمة جديدا في اللغة العربية، ظهر بعد ترجمة المصطلح الانجليزي Globalization لكن من الصعب تقديم مصطلح واضح لترجمة هذه الكلمة، نظرا لكون العولمة ظاهرة مركبة وليست شيئا بسيطا يمكن تعيينه ووصفه بدقة بقدر ما هي جملة عمليات تاريخية متداخلة تتجسد في تحريك المعلومات والأفكار والأموال والأشياء وحتى الأشخاص بصورة لا سابق لها من السهولة والآنية والشمولية والديمومة، تتمثل في تعميم التبادلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على نحو يجعل العالم موحدا أكثر من أي يوم مضى. (حرب، 2000، ص. 29)

وإذا تتبعنا مصطلح العولمة في أصوله في اللغة العربية فهو مشتق من كلمة العالم فالخليل بن أحمد الفراهيدي في معجم العين يذهب إلى كلمة العالم تعني الخلق الذي يؤنث ويذكر (الفرطوسي، 1999، ص. 365) وجمع العالم إلى العوالم بكسر اللام، والعالمون أصناف الخلق، كما يقول محمد بن أبي بكر الرازي في مختار الصحاح. (الرازي، 1988، ص. 187)

ب. التعريف الاصطلاحي للعولمة:

العولمة ظاهرة اجتماعية معاصرة تجلت قبل بدايات القرن العشرين وبرزت بقوة في القرن الواحد والعشرين، وظهرت العولمة أول مرة في حلة اقتصادية، وهذا كمال عبد اللطيف عندما سئل عن العولمة قال في تعريفه الاصطلاحي هي تعليم الشيء (عالَم) وتنتهي إلى توسيع (العِلم) ليشمل (العَالم) بحدوده، وأول من استعمل هذا المصطلح هو الكندي مرشال ماك لوهان سنة 1960 أين تصور أن العالم سيغدو قرية كونية متشابهة (بيتر مارتن و شومان، 1988، ص. 51) كما أن العولمة تعبر عن عملية ليست جديدة بل قديمة جدا ومستمرة إلى ما لانهاية (عرسان، 1998- 1999، ص. 40) كاتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش (روبرستون، 1998، ص. 61) حسب رونالد روبرتسون، هذا الانكماش الذي يؤدي إلى تقليص المسافات وذلك بالعلم بكل ما يحدث في العالم في ثواني قليلة في عالم واحد اتسعت حدوده وتلاشت بسبب التطور التكنولوجي، مع التوجه إلى توجيه الأفكار وتوحيدها نحو نمط واحد لا يخرج عن القالب الذي ترسمه العولمة، فهذه الأخيرة حسب الدارسين هي عملية للوصول بالبشرية إلى نمط واحد في الأكل والملبس والتعبير وحتى العادات والتقاليد واللغة، أي أنها تصنع ثقافة جديدة خاصة تزيل من خلالها الثقافات السائدة في الدول مهددة بذلك أمنها الثقافي.

فالعولمة تمس كل مقومات الدولة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والأخطر هو المقوم الثقافي فالعولمة على هذا الأساس ليست واحدة بل متعددة، أين يعرفها محمد عابد الجابري بأنها "نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن، وبالتالي فإنه يعمل على التفتيت والتشتيت وإيقاظ أطر الانتماء إلى القبيلة والطائفة والجهة والتعصب بعد أن تضعف إرادة الدولة وهوية الوطن" (الجابري، 1997، ص. 147) فبعد أن دخلت العولمة كمنقذ اقتصادي للدول المتضررة من الحرب العالمية الثانية، ها هي اليوم تكشر عن أنياب الرغبة السياسية في الهيمنة والسيطرة وأخذت بذلك الشكل الإيديولوجي الحقيقي لوجودها.

وإذا قارنا بين المصطلحين في اللغة الانجليزية Globalization وفي اللغة الفرنسية Mondialisation نجد أن tion تفيد في اللغة العربية "القصر" أي أن العولمة تدخل بطريقة قيصرية لا إرادية، والعولمة في هذا السياق ليست العالمية Mondialisme، فالإسلام مثلا يحمل رسالة لكافة البشر تحمي من خلالها حرية المعتقد من منطلق "لا إكراه في الدين" وحرية الاختلاف والأفكار والمفاهيم، عكس ما تحمله العولمة من مفاهيم وقيم جديدة تفرض على الفرد والمجتمع فرضا ليس له أَيُّ اختيار في ذلك.

وعلى هذا الأساس ثمة مدلولان لكلمة العولمة هما:

أولا: الكيفية التي تصبح القوى والآليات الثقافية والسياسية والعسكرية والتقنية والاقتصادية عالمية الطابع أي أن تكون بيد مؤسسات على المستوى العالمي في حقبة تاريخية.

ثانيا: الكيفية التي تتمخض المصالح والمؤسسات على المستوى العالمي عن ضغط على من هم دون خطورة الموقف لاسيما الحكومات الوطنية ومواطنيها، مقيدة حرية تلك الحكومات إزاء التصرف بل تملي عليهم كيفية العمل في بعض المجالات. (سميث، 2011، ص. 18)

2. تعريف الأمن الثقافي:

الأمن الثقافي كمصطلح لفظي يتكون من كلمتين ذات معنيين مختلفين وتبدو للوهلة الأولى دالة على تناقض هما الأمن والثقافة، فالأمن هو توفير الجو الآمن لتداول الحريات التي نمارسها ودلالته دوما تشير إلى الدفاع والعزلة والسيطرة لتوفير الحماية المطلوبة أو الانغلاق والتكتم إن تطلب الأمر ذلك في أحيان كثيرة، أما الثقافة فتشير إلى الإبداع والانفتاح والتحرر من القيود في التعامل مع الآخر وتبادل الآراء المختلفة والمهمة فيما يخص المعتقدات والفنون والعادات والآثار التي ينتجها الإنسان في وقت وزمان ما، وإذا قلنا فيما سبق أن الأمن يحتكم إلى العزلة والانغلاق من جهة، والثقافة تدعو إلى الانفتاح من جهة أخرى، فهذا يدل على أن الانغلاق الذي تنادي به الثقافة يأتي في قالب الحماية التي يوفرها الأمن في إطار يصون من خلاله الثقافة في جو يكفل حرية الإبداع والحفاظ في نفس الوقت على مكتسبات الشعوب الثقافية والفنية والدينية.

هناك حالة تلازم بين العولمة والثقافة على نحو جعل مفهوم الأمن الثقافي ملتصقا بظاهرة العولمة في بداية التسعينات من القرن الماضي، وذلك إن دل على شيء إنما يدل على أن الثقافة عانت كثيرا من مشكلة أمنها الثقافي هذا من جهة، وأن العولمة صارت كذلك أي عولمة، حينما حملت على ركاب ثقافي وأنتجت ثقافتها العابرة للحدود. (بلقزيز، 2009، ص. 9)

وعليه الأمن الثقافي بوجه عام يعني توفير الثقافة الصالحة للناس بحيث يسمح لهم بأن يعيشوا حياتهم المعاصرة بشكل سليم، تكون الذات الثقافية أول مصدر للحماية من موجة الثقافة المستوردة، ولا يعني أبدا صون الذات الثقافية الانغلاق بل ينبغي تحقيق تلك الأخيرة وذلك بتجاوز الآثار السلبية والخطيرة للثقافات الغازية، مع إطلاق الحرية للثقافة الذاتية بأن تختار الخيار الاستراتيجي الذي تستطيع من خلاله تحقيق الأمن الثقافي. (محفوظ، 2006، ص. 14)

إذن الأمن الثقافي في مجمله يعني الاعتزاز بالذات الحضارية وحمايتها مع الاطلاع على معطيات ثقافة الغير وهضمها والتعاطي مع قضايا الثقافات الإنسانية الأخرى، والحفاظ في نفس الوقت على مرجعياتها وجذورها الحضارية.

3. أثر العولمة على متطلبات تحقيق الأمن الثقافي:

تشكل العولمة حجر عثرة أمام تحقيق الأمن الثقافي لأن هذا الأخير يسعى للحفاظ على الخصوصية والهوية الوطنية، في حين تعمل العولمة على تجاوز هذه الخصوصية واختزالها في ثقافتها العالمية، التي تكرس لتجاوز ثقافتنا واختزالها في النمط الذي برمجه مروجو العولمة، فطغت بمفاهيمها وأفكارها التغريبية على الطفل والشاب والمتعلم والمثقف وكل مكونات المجتمع، بتسخيرها وسائلها التكنولوجية خاصة المعلوماتية منها لخرق الأمن الثقافي لدول المغرب العربي، حيث ساد انطباع خلال العقد الأخير من القرن الماضي مفاده أن العولمة باتت أشبه بتسابق أمواج الطوفان إلى الشاطئ، حاملة معها نذر التغيير سواء أحببنا أم كرهنا، وبدا عالم العولمة محفوفا بالمخاطر مائعا بلا شكل خارجا عن السيطرة، ودلائل ذلك في كل مكان من خلال ما

نشاهده من حركة المال السريعة على المستوى العالمي ونقلها بسرعة من وإلى عملات قومية مختلفة، مما سبب انهيارا اقتصاديا في أعقابه، مع تسخيرها الشركات المتعددة الجنسيات بلا هوادة التي تبحث عن مصادر جديدة للطاقة والمواد الخام النادرة والعمالة الرخيصة المرنة، حيثما وجدت تلك المصادر والمواد ثم الارتحال بلا تردد وبسرعة إذا رأت بديلا أفضل في مكان آخر، بالإضافة إلى ذلك فهي تدمر الوظائف بفعل تكنولوجيا المعلومات واختراق دروع الحماية من كل نوع وإهدار القديم لإيجاد مكان للجديد، ما يفرز تدافع مختلط بين مختلف الثقافات والجنسيات والعرقيات وما يتمخض عن ذلك من خوف وتمزق وصراع. (سميث، 2011، ص. 12)

كما أن "العولمة هذه التي تشير إلى تمدد التداخل الثقافي العالمي يمكن إدراك أنها تؤدي إلى نشأة كيان عالمي يمكن تعريفه على أنه نطاق من التفاعل والتبادل الثقافي المتواصل بتدفق سلسلة من الثقافات. أولا تفرز تجانس ثقافي وفوضى ثقافية في آن، وذلك بربط جيوب من الثقافة المتجانسة نسبيا بعدما كانت منعزلة وهو ما يؤدي بدوره إلى إفراز صور أكثر تعقيدا للآخر، وثانيا بإفراز ثقافات عابرة للقوميات وهو ما يعد ثقافة ثالثة (فيندرستون، 2005، ص.ص. 7- 8) تقضي مبدئيا على الثقافتين الأوليتين وتهيؤ الجو للثقافة الأحادية الغربية بغرسها لثقافة الاستهلاك للمنتج التكنولوجي الغربي دون وعي بخطورة إفرازاته التي تقضي على الإبداع الثقافي والعلمي.

وعلى هذا الأساس "تمارس العولمة أنواع من الإذلال يخرق الأمن الثقافي أولها ذل الاحتلال الذي ينتزع الحرية السابقة ويرغمك على التبعية، وهناك ذل النبذ الذي يرغمك على التراجع في منظومة هرمية وهناك أيضا ذل الإقصاء الذي يحرمك العضوية في مجموعة أو هرمية اجتماعية أو شبكة ترى أحقيتك في الانتماء إليها" (سميث، 2011، ص.ص. 29- 30) لأن العولمة تسيطر على فكر الفرد ونفسيته في آن واحد مما يجعله يشعر بالإذلال النابع دائما من التبعية لثقافة الآخر، فهذا الاختراق الآلي لنفسية المُعَوْلَم تُفضي إلى عدم شعور هذا الأخير بالأمان والحرية في وطن أصبح فيه غريب بكل أبعاده، فأصبح من الصعب في هذا العالم بمكان أن نجمع بين درجات عالية من الأمان ودرجات عالية من الحرية، لاسيما عندما يفرض الأمن من خلال المراقبة الشاملة والتنظيم والتحكم فقد يعني زيادة الأمان تضاؤل الحرية، فيما تعني زيادة الحرية تضاؤل الأمن. (سميث، 2011، ص. 61)

بالإضافة إلى ذلك فإن موجة الخطاب الإعلامي في ظل العولمة جاءت مزودة بقنبلة ممتلئة بالثقافات المتنوعة الدخيلة على الثقافة العربية والإسلامية، فيقدم هذا الخطاب ثقافة جديدة هي ثقافة ما بعد المكتوب التي ليست سوى ثقافة الصورة، باعتبارها المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد -نظام إنتاج وعي الإنسان بالعالم، إنها المادة الثقافية التي يجري تسويقها على أوسع نطاق جماهيري (كاظم، 2009، ص.ص. 246- 247)، تحمل في جوهرها مظاهر التحريف الكثيرة والمتنوعة خاصة تلك التي تمس صورة الإسلام وتشوه تراثنا العربي الإسلامي، مما أدى إلى تساؤلات عديدة حول شرعية العادات العربية الإسلامية وكذا الهوية العربية.

كما تتعرض مؤسسات المجتمع لكثير من الضغوط بفعل العولمة التي تستهدف التأثير في معتقداته وفي أبنائه ومشاعرهم واتجاهاتهم وانتمائهم إلى مجتمعهم، من خلال مجموعة من التقنيات الحديثة والمتطورة والبث الإعلامي المباشر واختراق السماء وتلك الحدود، ومن شأن ذلك التأثير في شخصية الفرد أن يشعر نفسيا واجتماعيا وعقليا بتقبل ما يستقبله من أفكار تؤثر في انتمائه للمجتمع (هيجوت، 1999، ص. 3)، وتغريب الشباب عن ثقافتهم الأصلية وإبعادهم عنها بشتى الوسائل، عن طريق نشر عادات غريبة بعيدة كل البعد عن

تعاليم ديننا، ولكن في نفس الوقت يجب علينا الدفاع عن هويتنا وأصلنا، وعلينا أن لا نلجأ إلى الانغلاق والتوقع وعدم الاقتباس كما قال الزعيم الهندي (غاندي) "ذات يوم مستعد أن افتح نوافذ بيتي على كل الثقافات ولكني أرفض أن أذوب معها". (سيد أحمد، 2008، ص.ص. 66- 67)

ومن الملاحظ أيضا أن هناك غلبة لغات أجنبية على اللغة العربية في زمن العولمة، فاللغة العربية تشكل أحد روافد الهوية الوطنية التي وصفها الله بأنها أفضل اللغات بدليل نزول القرآن الكريم بها، تواجه الآن تحديات كبيرة من قبل الذين يرغبون في عولمة لغتهم الأصلية والقضاء على اللغة العربية. (حامد حمد، 2000، ص. 12)

جاءت العولمة أيضا بظاهرة الهجرة المقننة التي عمقت ظاهرة هجرة العقول عبر اتفاقيات، حيث اتجهت الهجرة الجزائرية بالدرجة الأولى إلى فرنسا وبلجيكا، وقد بلغت نسبة المهاجرين من بلدان المغرب العربي الثلاث الجزائر والغرب وتونس أكثر من 66.5% من مجموع الجاليات الإفريقية في أوربا. (جفال، 2008، ص. 175)

والوضع الراهن للشباب الجزائري باتت تسيطر عليه الثقافة الغربية ذات الطابع العلماني وهذا ما أدى إلى ظهور ازدواجية على الصعيد الثقافي من خلال تبني ثقافتين في المجتمع، ثقافة تقليدية تدفع إلى حالة الانطواء على الماضي الموروث والتمسك بالعقيدة الدينية ومبدأ القومية، وثقافة حديثة استمدت جذورها ومدت صلاتها بالثقافة الغربية، وهي ثقافة تنتشر أكثر في أوساط الشباب الذين ينبذون كل ما هو قديم وأصيل ويتمسكون بالثقافة الغربية على اعتبار أنها السبيل الوحيد إلى التقدم والمعاصرة. (أحمد أمين، 1998، ص. 64)

4. مقومات تحقيق الاستقرار المجتمعي والأمن الثقافي في الجزائر:

من أهم آليات ومقومات تحقيق الأمن الثقافي في الجزائر ومن ثم الحفاظ عليه والوصول به إلى مجتمع جزائري مستقر هو ترسيخ العقيدة الدينية الصحيحة التي تبدأ مع التنشئة، من خلال إرساء قواعد الدين الصحيح في حياة الإنسان من مرحلة الطفولة وصولا إلى مرحلة الشباب، وغرس المعتقدات والقيم والمفاهيم الاجتماعية والسياسية في عقول الأفراد التي تساهم في نجاح عملية التنشئة الوطنية للمجتمع الجزائري، فالتنشئة الوطنية الصحيحة تسهم في تحقيق الأمن الثقافي في الجزائر والأسرة هي المصدر الأساسي في غرس العقيدة الدينية الصحيحة لدى الفرد منذ صغره، وذلك بإمداده بالمعلومات الدينية والقيم الدينية وتزويده بالصفات الحميدة وغرس المثل والمبادئ والخصال الحميدة وإتباع منهج الله ورسوله الكريم وإكساب الفرد السلوك الطيب والقويم في حياته. (أدوار المؤسسات التربوية غير النظامية في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي، دص)

لابد أيضا من الحفاظ على اللغة العربية باعتبارها هويتنا التاريخية، لذا يجب أن لا نتخلى عنها لصالح أي لغة أخرى، وصون اللغة العربية وحمايتها ينطلق من الأسرة وصولا إلى المدرسة لأن الأسرة تلعب دورا هاما في تعليم الفرد منذ صغره اللغة وقدرته على استخدامها ودلالتها الثقافية والتعبيرات اللغوية المناسبة للمواقف الاجتماعية، فاستخدام اللغة والقدرة على النطق والتعبير وتوصيل الأفكار يبدأ من الأسرة، من خلال ما توفره للطفل من فرص لاستخدامها والتواصل مع الآخرين والتعبير عن أفكاره وآرائه. (أدوار المؤسسات التربوية غير النظامية في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي، دص)

وفي نفس الإطار تعمل الأسرة على تنمية واكساب أبنائها معايير المواطنة الصالحة في المجتمع، من خلال تنشئة هؤلاء الأبناء على الفضائل والقيم التي تجعل الفرد مواطنا صالحا في المجتمع الذي يعيش فيه، كالمحبة والتعاون والإخلاص وإتقان العمل وغيرها، حتى يدرك مسؤوليته والتزامه اتجاه وطنه وغرس مفاهيم حب الوطن وتعريف الشباب منذ الصغر بالحقوق والواجبات التي تجعلهم مواطنين صالحين في المجتمع، وبذلك تهم في تأكيد وتأصيل الذاتية الثقافية لهم.

بالإضافة إلى ذلك لا يمكن إغفال دور المؤسسات التعليمية في تحقيق الأمن الثقافي، كونها تكرس جهودها لتعميق الحضارة الفكرية لدى الأجيال الناشئة بزيادة التوجيه الفكري والديني وتقليل الإعجاب بحضارة الغرب، والسعي إلى تأكيد النظر إليها على أنها ثقافة دنيوية بعيدة عن النواحي الروحية التي تميز حضارتنا، كما تبادر أيضا إلى تعميق الانتماء الحضاري والوطني للشريعة الإسلامية، من خلال الندوات واللقاءات التي يمكن أن تنظمها المؤسسات التربوية المختلفة، وأن يكون الهدف هو تحديد ما يمكن قبوله وما يمكن رفضه من ثقافة الآخرين.

وعلى هذا الأساس تحمل الضرورة علينا الاهتمام بتقوية المؤسسات التربوية التعليمية لكي تقوم بدورها الحضاري من خلال فتح قنوات حوارية بين المؤسسات التربوية والمؤسسات الأمنية، والتي يتم من خلالها عرض مجموعة من المشكلات الأمنية الناتجة عن التحديات الثقافية التي تواجه مجتمعنا، لأن الاختراق الثقافي يتطلب من النظام التربوي أن يؤدي دورا أكثر فعالية في تعزيز الهوية وتعميق الانتماء والاعتداد بالثقافة الجزائرية، كما يلزم ترسيخ عقيدة الإيمان بالله والتأكيد على أن الإسلام منهج شامل للحياة في جميع جوانبها. (بن محمد آل عبد الله، 2000، ص. 9)

بالإضافة إلى ذلك يجب أن تقوم وسائل الإعلام المختلفة بالإسهام في تحقيق الأمن الثقافي بقيامها بدورها الإيجابي في التنشئة الاجتماعية، وذلك من خلال تعليم الفرد أنماط التفاعل الاجتماعي والتي تعكس السلوك الاجتماعي السليم في المجتمع، كما تقوم أجهزة الإعلام في ظل النظام العالمي الجديد بتزويد الأفراد وخاصة الشباب بالقيم والمعايير والعمليات الاجتماعية السائدة في المجتمع، والتي تعمل على تحصين وحماية الشباب من الداخل ضد مظاهر الخطورة على الأمن في أنواعه المتعددة. (دور وسائل الاعلام في تحقيق الأمن الثقافي، دص)

ولا يمكن أن يتحقق الأمن الثقافي الذي يصون هويتنا الوطنية دون إسهام مؤسسات المجتمع المدني كالتنظيمات الاجتماعية والجمعيات الأهلية في تنمية شعور الفرد بمسؤولية اتجاه وطنه، أين تلعب هذه المؤسسات الدور الرئيسي المنشود منها، بحيث تمكن الشباب من التمسك بالعقيدة الدينية الراسخة لديهم من خلال عقد الندوات والمؤتمرات التي تدعو فيها علماء الدين لمواجهة التهديدات المختلفة الموجهة إلى المجتمع الجزائري في كافة مجالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. (دور مؤسسات المجتمع المدني، دص)

ومن دعائم تجسيد الأمن الثقافي في الجزائر الحفاظ على الاستقرار السياسي من خلال العمل على مبادرة الحوار الفكري والثقافي الإيديولوجي بين القوى السياسية والاجتماعية المتفاعلة داخل نمط الحكم السائد، وهذا ما يفسح المجال للحوار وتبادل الآراء بصفة سلمية على أساس خدمة المصلحة العامة وتحقيق التوافق والترابط المجتمعي، ومن جهة أخرى فإن تحقيق أي استقرار سياسي يتطلب وجود المشاركة السياسية لمختلف شرائح المجتمع دون تهميش أي فئة منها في عملية صناعة القرار السياسي، أي انخراط المواطنون في

عملية التعبير عن المصلحة، وهذا ما يؤدي إلى الارتقاء السياسي وإبعاد العنف عن النظام السياسي، كما يسهم في تحقيق وحدة الهوية الوطنية التي تعد جوهر الاستقرار السياسي للدولة. (مزارة، 2017، ص. 20)

يمكن القول أن حماية ثقافتنا وتحقيق أمننا مرتبط بوضع حد للصراع السياسي والثقافي في الجزائر الذي يهدد الوحدة الوطنية، فلا بد إذن أن نضع الخلافات أينما كانت على جانب، لأن التهديد الأكبر يعمل على اختراق خصوصيتنا، لذا لا بد من فض هذه المشاكل الداخلية بتجسيد مبادئ حقوق الإنسان والهويات الفرعية للعرب والأمازيغ وغيرهم، وتحقيق العدالة الاجتماعية من خلال فتح مجال المشاركة لكل الفئات الاجتماعية في صنع القرار، كما يجب الأخذ بالخصوصيات الاجتماعية والثقافية واحترام مكونات الشخصية والتراث الحضاري لكل قبيلة، هذا ما يسهل عمليات التعايش والتفاعل الاجتماعي بما يضمن الحفاظ على وحدة الوطن ويحقق الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة. (مزارة، 2017، ص.ص. 18- 19)

خاتمة:

وفي الأخير يمكن القول أن السياسة الاستعمارية الجديدة التي تنتهجها العولمة تسعى إلى القضاء على الأمن الثقافي بعملها على استئصال الهوية الوطنية، مع رغبتها في إزالة انتماء الفرد إلى العروبة والإسلام، من خلال استخدامها الوسائل التقنية المتطورة التي تصبوا إلى تعميم ثقافة استهلاك المنتج الغربي وتهميش كل ما هو محلي الصنع، لكن رغم هذا الغزو الثقافي لا بد أن نعمل من أجل الحفاظ على جوهر الثقافة العربية الإسلامية، مع العمل في نفس الوقت على استيعاب التطور الحاصل في العالم دون الذوبان في إفرازات ثقافته وذلك بالتشبث بالثوابت والقيم العربية الإسلامية.

وعلى هذا الأساس يبقى تحقيق الأمن الثقافي في الجزائر مسؤولية جماعية تقع على عاتق كل فرد، انطلاقا بتفعيل دور الأسرة وتضافر جهودها مع القوى السياسية والاجتماعية المتفاعلة داخل نمط الحكم السائد، والمؤسسات التعليمية والتربوية وتطهير مناهجها من الثقافة الغربية، والحفاظ على اللغة العربية من تهديدات اللغات الأجنبية الأخرى، ويمكننا في هذا الإطار الخروج بمجموعة من الآليات الواجب اتخاذها لتحقيق الأمن الثقافي في الجزائر، نذكر أهمها في التالي:

1. لابد من مواجهة الآخر بالعلم والثقافة، أي المواجهة بالمعنى المعرفي، تؤهلنا لانتقال تلك المواجهة إلى ساحات أرحب، لنطرح أسئلة ذات علاقة بأهم التحديات المباشرة لنا كإنجاز يحافظ على الاستقرار المجتمعي بالجزائر، وذلك بتفعيل مقومات الأمن الثقافي.

2. ضرورة الابتعاد على الانغلاق، فقد ول زمنه بحجة الحفاظ على الذات والهوية، ومازالت التجربة المتمثلة أمامنا تثبت لنا يوما بعد آخر أن المجتمعات كلما انغلقت على نفسها وجربتها أكثر، كلما كانت مناعتها أضعف.

3. من الجدير بالذكر أننا لسنا ملزمين بوضع الغرب مقياسا ومؤشرا لحركة التقدم كما هو الحال الآن، بل إن خيارنا كمسلمين ينبغي أن يتركز في "صناعة العالم المبتكر" أي بناء نموذجنا العالمي الخاص بنا، والذي لابد أن ينطلق من نظم معلومات فاعلة وحيوية، نظم تستطيع السيطرة على أداء المجتمع المعاصر بتعقيداته وظواهره المختلفة، مستندة إلى نظام متكامل من القيم التي يعيش المجتمع في وارف ظلها، أي تجديد نظرتنا إلى منظومة القيم الحاكمة.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم بن محمد آل عبد الله. (2000). مستقبل التعليم والأمن في عصر العولمة. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
2. أدوار المؤسسات التربوية غير النظامية في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من www.roumalqora.edu.
3. ثائر رحيم كاظم. (2009). العولمة والمواطنة والهوية. مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، 9 (1).
4. جلال أحمد أمين. (1998). العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث. مجلة المستقبل العربي (234).
5. دور مؤسسات المجتمع المدني. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من www.najah.edu.
6. دور وسائل الاعلام في تحقيق الأمن الثقافي. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من www.oumqora.org.
7. دينيس سميث. (2011). الأجندة الخفية للعولمة. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
8. الرازي. (1988). مختار الصحاح. لبنان: مكتبة لبنان.
9. رونالد روبرستون. (1998). العولمة الاجتماعية والثقافة الكونية. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
10. ريتشارد هيجوت. (1999). العولمة والأقلية. بيروت: المجلس الأعلى للثقافة.
11. زهيرة مزارة. (27 فيفري، 2017). أزمة الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة: بين متطلبات تفعيل الوحدة الوطنية وتحقيق الاستقرار السياسي- الجزائر نموذجا.
12. صلاح مهدي الفرطوسي. (1999). مختصر العين. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
13. عبد الإله بلقزيز. (2009). في مفهوم الأمن الثقافي. جريدة الوطن (1530).
14. عبد الله حامد حمد. (يناير/ مارس، 2000). فرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية. عالم الفكر (3).
15. عزت سيد أحمد. (2008). إنهيار مزاعم العولمة. بيروت: مركز نور للدراسات العربية.
16. علي حرب. (2000). حديث النهايات: فتوحات العولمة ومأزق الهوية. بيروت: المركز الثقافي العربي.
17. علي عقلة عرسان. (شتاء، 1998- 1999). العولمة والثقافة. مجلس الفكر السياسي (4و5).
18. عمار جفال. (30 أفريل، 2008). العلاقة بين المغتربين ودولهم الأصلية: حالة الجزائر. الملتقى الدولي: الجزائر والأمن المتوسط: واقع وآفاق. جامعة قسنطينة.
19. مايك فيندرستون. (2005). ثقافة العولمة. مصر: المجلس الأعلى للثقافة.
20. محمد عابد الجابري. (1997). قضايا في الفكر المعاصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
21. محمد محفوظ. (2006). في مفهوم الأمن الثقافي. جريدة الرياض (59).
22. هانس بيتر مارتن، و هارالد شومان. (1988). فخ العولمة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.